د. سامي خصاونة
د. عيد الدحيات

الكاتب الاردني والمعاصرة

مقدمة

كثيرا ما يكون الكاتب الاردني — ونعتقد العربي ايضا — غير معاصر ولا ينتسب الى مجتمع معاصر . ان المجتمع الاردني جزء من المجتمع العربي يعاني من ازمات ومشكلات تحد من طاقته وقدرته وتحول الى قدر كبير دون انطلاقه الى المستقبل بحرية ولعل الازمات والمشكلات التالية هي التي تعوق المواطن الاردني والعربي من ان يكون معاصرا بمعنى المعاصرة الحديثة ، كل المعاصرة .

ازمة التربية :

التربية العربية متخلفة الى مدى ملحوظ . انها ليست جماهيرية شعبية ولا قومية وحدوية الا في اضيق الصور او المعالم . انها في الغالب اكاديمية تقليدية محافظة الى حد الرجعية ، وتتجه اتجاها غربيا اعمى . وتعاني التربية العربية كثيرا من غياب الفكر الفلسفي التربوي المعاصر والمتطور ، كذلك من غياب الادارة والاشراف والارشاد والتخطيط بأبعادها وشمولها وبمعانيها ووسائلها العلمية الحديثة .

ومن ناحية اخرى ، فان المؤسسات التربوية العربية هي عمليا وواقعيا خادمة ومنفذة للانظمة السياسية والاجتماعية والاقتصادية القائمة ، ومطبقة للواقع القائم في العالم العربي . ولذلك فان الانسان الذي تصنعه هذه المؤسسات التربوية غير معاصر هو انسان متخلف عقليا ونفسيا واجتماعيا ووجدانيا وحضاريا . انه عاجز ، متردد ضائع يعاني من انفصام في الشخصية وبشكل عام اناني .

ازمة التنشئة الاجتماعية الاسرية :

تلعب الاسرة الدور الاعظم في عملية التنشئة الاجتماعية وخاصة في السنين الخمس الاولى من حياة الافراد . لكن الاسرة العربية تعاني بشكل عام من اوضاع اقتصادية واجتماعية قاسية تترك آثارها وانعكاساتها على الاطفال بشكل يلازم حياتهم حتى الموت ، وان التخلف الاقتصادي والاجتماعي يؤدي الى فقدان الامن والطمأنينة والى الشعور بالهوان والقلق ، فينمو الطفل خجولا خائفا ضعيف الثقة بنفسه وبالاخرين ، ينقصه الطموح وتوقعاته قريبة بسيطة ، وهو لا يعي بقدر كاف قابلياته وقدراته ولا يقدرها تقديرا موضوعيا . ان الاسرة منذ الطفولة المبكرة تقيد الاطفال ، وخاصة الذكور منهم بالعديد من الكوابت والضواغط المادية والنفسية والاجتماعية بحيث يتربون وينشأون معها مرافقة لهم وثابتة فيهم ، تعوق حرية الحركة والتفكير والتعبير لديهم .

ازمة التراث :

لقد لعب تراثنا العظيم دورا واضحا في تقدم التراث الانساني وتطوره على مدى فترات طويلة في التاريخ . اما الان فاننا لا نجد حرجا في القول بأن حركة التطور والتغيير المصحوبة بالخلق والابداع قد توقفت تقريبا في اضافة منجزات جديدة لبناء حضارة المجتمع البشري المعاصر ومدنيته . اننا على غير اتصال واسع عقلاني بتراثنا العظيم ، كما ان مؤسساتنا المختلفة لم تعط تراثنا الاهتمام الصحيح والكافي . فترتب على ذلك سوء فهم للتراث مصحوبا بموقف غامض حائر منه . ولقد اوقع ذلك المواطن العربي في تصورات واوهام خاطئة بالاضافة الى فراغ مادي ومعنوي دفع هذا المواطن للتطلع الاعمى والاحمق الى ثقافات اجنبية ليثبت من خلالها وجودا خادعا ومضللا .

أزمة الديمقراطية :

يبدأ الانسان العربي حياته في مجتمع تكاد تكون

الديمقراطية غائبة عنه ، ان انظمتنا السياسية العربية بصورة عامة لا تحترم مبدأ الحريات العامة والحريات الشخصية ولا تصون هذه الحريات . وغياب هذه الحريات يؤدي على مشاعر مبكرة لدى الفرد بالذل والخنوع . فيتشكك بانسانيته وبفرديته ، كما تخلق فيه مخاوف لا يقوى على التعبير عنها ، فتظل جسيمة مدفونة فيه . يضاف الى ذلك ان غياب الديمقراطية يحدد فرص التبادل الفكري والتفاعل الحر . فينشأ المواطن العربي جاهلا بنفسه وبالاخرين وتتطور لديه مشاعر عدائية تجاه غيره . ثم يجد نفسه في عزلة مريرة تؤدي به الى الوهم المؤدي للبحث التعويضي غيرالارادي عن مشاغل واهتمامات وتفكيرات تكون في معظمها بعيدة عن العقلانية الموضوعية ، وقائمة بالاساس على القدرية والغيبية .

ازمة الواقع الريفي والواقع المديني في عالمنا العربي :

ان الاختلاف الشاسع بين المجتمعات البدوية والريفية والمدينية يسبب انفصالا شبه كامل بين قطاعات بشرية وجغرافية رئيسية في وطننا . يقول الدكتور منير خوري في ورقته المقدمةالى حلقة تثمير العائداتالبترولية في الانماء تحت عنوان « تثمير العائدات البترولية في الانماء الاجتماعي العربي في الفترة ما بين ٢٨ ـ ٣٠ تشرين ثاني عام١٩٧٥» : ان طغيان العقلية القدرية على القطاع الريفي من عالمنا العربي جعل ما يقرب من ثمانين بالمئة من مجموع السكان يعيشون على هامش الحياة المجتمعية الفاعلة ان انسان هذا القطاع ، عدا اكثرية ساحقة ، وفعلا ، اقلية مسحوقة . انه الجائع الذي يطعم مجتمعه ، والبدائي الذي يحمل بذور حضارته الاصيلة . يتملكه عالمه ومحيطه ولا يملك منهما شيئا . جذوره الارضية المحلية عميقة وقوية واعضاءه العالمية ضعيفة عارية . اما الانسان المديني فهو يمثل القلة العددية البسيطة ، انه المتخم الذي لا ينتج ولا يظعم ، والمتحضر بدون جذور ، ثروة الدنيا ملك ثانوي له ولذلك هي دوما برسم البيع عنده . جذوره القومية تكاد تكون معدومة ، اما اعضاءه العالمية ولا اقول الانسانية فمترامية الاطراف ، انه ، كما يقول عنه البرت حوراني الانسان الذي يستطيع ان ينتقل من حضارة الى حضارة ويتجلبب ثوب كل منها بنفس السرعة والسهولة التي يستطيعها في تغيير ردائه برداء آخر .

مشكلة الانفصام الحضاري :

الشخصية العربية ليست منسجمة ولا متفقة مع ذاتها . ان السلوك الذي نشاهده امامنا ليس في الغالب حقيقيا ولا صادقا . هو سلوك تمثيلي في معظمه لا يعبر عن جوهر الشخص . ولعل احد الاسباب الاساسية وراء هذا الانفصام هو ان فهم انساننا لتراثه بعيد عن الذكاء والوعي والموضوعية . فهو يجتر كثيرا من معالم التراث اجترارا آليا ، ويردد ببغاويا شعارات كثيرة تصور له انها تعبير حقيقي عن العصر والمعاصرة . اضف الى ذلك ان اتصالنا بالمدنية والحضارة المعاصرة اتصال هامشي لا يتعدى المظهر الخارجي .

أزمة الولاءات :

تتعدد الولاءات على اختلاف انواعها ومستوياتها في العالم العربي بشكل مثير للدهشة والاستغراب . الطائفية والعشائرية والاقليمية والعائلية .. الخ، تنتشر بشكل غريب في وطننا . ولعل تعدد الولاءات هو احد الاسباب الرئيسية لضياع الهوية الشخصية المميزة والمميزة للمواطن والمجتمع العربي . ومما يزيد المشكلة تعقيدا الواقع السياسي السيء الذي تعيشه بلداننا في الغالب والذي يعزز استمرارية الولاءات الصغيرة ويحرص على بقائها . وهذا عمليا وواقعيا هو امتداد للعصبية الجاهلية والقبلية الضيقة .

الازمات السياسية والعسكرية :

رغم الانتصارات والانجازات السياسية العظيمة التي حققتها شعوبنا فيالفترة المنصرمة منالقرن العشرين، الا ان بلداننا العربية قد منيت بعدد من الهزائمالسياسية والعسكرية التي أثرت في الكيانات والبناءات الشخصية العامة والخاصة للفرد العربي وللمجتمع العربي . ان عددا من المناطق العربية في بعض اجزاء الوطن العربي ما زالت تخضع مباشرة او غير مباشرة للحكم أو للاحتلال الاجنبي وان احتلال الوطن الفلسطيني العربي وتشريد الشعب الفلسطيني امر يصعب على المواطن العربي ان يجد تفسيرا حقيقيا مقنعا له . ان المجموعات المتلاحقة من المشكلات هي سبب الضياع السياسي والفكري والاجتماعي الذي يعيشه هذا العربي .

الازمة الاقتصادية :

الزراعة في بلادنا ما تزال متخلفة ويتزايد عدد الناس الذين يتركونها الى الاعمال الوظيفة الحكومية . والصناعة حتى الان في أكثر الاحيان متخلفة . وتعتمد بلداننا على استيراد السلع والمنتجات الصناعية من الدول الاجنبية. اما سياساتنا الاقتصادية فتعاني من غياب العقلانية والنظرة العلمية ، مما يبقي على مجتمعنا العربي في وضعه الراهن ويعمق من مشكلة انساننا ويزيدها تعقيدا .

ازمة الانتاج العلمي والتكنولوجي :

يكفي ان نشير هنا الى ان انتاج اسرائيل في حقل العلم والتكنولوجيا اذا قيس على اساس الفرد الواحد

يبلغ مائة ضعف ما ينتجه الفرد العربي . لكن الاهم هو ان ثقافتنا ليست علمية . فنحن لا نفكر بأسلوب علمي ولا نتحدث او نتعامل او نتفاعل مع الاخرين على اساس علمي . اننا عرضة لتأثير قوى من اهوائنا ورغباتنا وميولنا الشخصية .

ان مجموعة الازمات المشكلات فرضت على مواطننا واقعا شاذا مرضيا وابرز ما يميز شخصيته هو الطابع المحلي وغياب وضوح الرؤية الدائم او بالاضافة الى مسحة مأساوية حزينة كئيبة .

وهنا يبرز دور الاديب العربي في المجتمع المعاصر . فيجب على الاديب ان يكون رجل فكر ، وان يكون الادب موجها الى القلب والوجدان وانسانية الانسان . ان الاديب معرفة موجهة الى الاحساس الفردي والجماعي ، ورسالته الفكرية تفرض عليه الالتزام بقضاياه المحلية والعربية والقضايا العالمية الانسانية . وتتحقق فردية الاديب من خلال التزامه بقضايا شعبه التي يعيشها هو كما يعيشها غيره من الناس لكنه يختلف عنهم لكونه اكثر دقة في الملاحظة وارهف حسا ، ويتمتع بقدرة على تصوير هذه الامور فنيا .

الالتزام المطلوب من الكاتب الاردني والعربي ليس التزاما اعمى ، بل التزاما حرا منبعثا عن شخصية واعية مدركة ، حرة وناقدة . كما ان التزام الاديب بقضايا وطنه وشعبه لا يعني البتة القوقعة في محلية ضيقة . المهم هو طريقة معالجة هذه المسائل بشكل يخرجها من المحلية الى العالمية ، وهذا يرجع الى : اولا ـ التصوير الانساني للشخصيات في الاعمال الاولية ـ وثانيا ـ العمق السيكولوجي ـ وثالثا ـ الجودة الفنية المتأتية من تكامل عناصر العمل الادبي .

ان مبدأ الالتزام لا يعني ان يكون النتاج الفني صورة مطابقة للواقع الحياتي اليومي ، يأخذ الاديب عناصره من الحياة ولكن الانتاج الادبي يشبه الحياة ولا يشبهها يخلق الاديب عادة عالما ثانيا من خلاله يمكن معالجة ما في الواقع اليومي من نواقص .

ان اكثر ما يؤخذ على الادب الاردني والعربي بصورة عامة انه يعاني الى حد واضح من نقص تكامل العمل الفني ، وكذلك من النغمة الحزينة في هذا الادب . ان هاتين الظاهرتين تحتاجان الى مزيد من الدراسة والبحث .

توصيات :

اننا بحاجة الى صناعة انسان جديد ومجتمع جديد . والانسان المطلوب هو انسان ناضج متطور ومعاصر في فكره وسلوكه ، يتميز بأنه حر موضوعي قادر واع ، والمجتمع الجديد هو مجتمع علمي متطور حر ديمقراطي .

اولا : اننا نعاني من ازمة في الفكر والتفكير . ولا سبيل لحل هذه المعضلة الا بتعليم الافراد والجماعات والمؤسسات وبالتالي المجتمعات كيف تفكر وكم يجب ان تفكر . ان مجتمعنا العربي بحاجة الى (٣) ملايين عالم في مختلف التخصصات والى ما لا يقل عن (١٥٠) معهد او مؤسسة للدراسات والبحوث في مختلف التخصصات .

ثانيا : دراسة الواقع التربوي والاجتماعي والاقتصادي والسياسي والتراثي والفكري دراسة شمولية تفصيلية تحليلية ناقدة تمكننا بعدها من بناء مؤسساتنا المختلفة بناء حديثا معاصرا .

ثالثا : انطلاقا مما سبق علينا ان نقوم بما يلي :

١ ـ دراسة التراث من جديد بمنطق واسلوب علميين

٢ ـ دراسة الواقع الثقافي العربي المادي والاجتماعي دراسة علمية .

٣ ـ اعادة النظر في فكرنا الفلسفي العام وبناء فكر فلسفي تربوي جديد نشتق منه انظمة تربوية معاصرة .

٤ ـ احداث انقلاب جذري في عمليات التنشئة الاجتماعية .

٥ ـ توظيف العلم الحديث والتكنولوجيا المعاصرة توظيفا ذكيا لخدمة الاهداف الجديدة .

٦ ـ احداث انقلاب حاسم في مجال الخدمات بحيث يشمل فلسفتها وادارتها وتنظيمها لتكون في متناول الجميع بلا استثناء ولاية اسباب .

٧ ـ العقل الجماعي اولا والفردي ثانيا هما اساس الابداع الانساني .

٨ ـ قيام انظمة سياسية ديمقراطية تحكم بارادة الناس جميعا .

٩ ـ اقامة انظمة اقتصادية موجهة قادرة على استثمار الجهود والطاقات البشرية لمصلحة الناس جميعا .

١٠ ـ يجب ان يكون هدف الانظمة السياسية والاقتصادية الجديدة هو بناء مجتمع انساني جديد يمنع الاستغلال من أي مصدر ولاي سبب .